## سبق حاتم الطائي في الكرم

**أحمد عمر**

عشتُ لأرى رئيساً عربياً يسبق حاتم الطائي في الكرم، والأحنف بن قيس في الحِلم، وعمرو في الشجاعة، وإياس في الذكاء، حتى ليصدُق فيه قول أبي تمام في المعتصم، صاحب موقعة عمورية الذي مدحه، فلما بلغ قوله: إقدامُ عَمْرٍو في سَماحةِ حَاتِمٍ/ في حِلمِ أحنَفَ في ذَكاءِ إيَاسِ، قال يعقوب بن إسحق الكِندي ناقداً: «إنَّ الأمير فوقَ ما وصفت، ولم تزد على أن شبّهته بأجلاف العرب، فمن هؤلاء الذين ذكرتهم؟ وما قدرهم؟». أطرق أبو تمام قليلاً، فحضره بيتان ارتجلهما، على الوزن نفسه والقافية نفسها: لا تنكروا ضربي له مَنْ دونه/ مثلاً شروداً في الندى والباس/ فالله قد ضرب الأقل لنوره/ مثلاً من المِشكاة والنبراس.

تقول الرواية إنّ المعتصم وهب أبا تمام ولاية الموصل مكافأة له على مدحه، وعلى حسن الحاضرة والبداهة وقوة الطبع وشدة العارضة. بل إنَّ هذا الرئيس العربي سبق صلاح الدين الأيوبي في الجهاد، لكن ليس الأعداء، وإنما الأهل والأشقاء! بل إنه تنازل عن القدس، ليس لأهلها وإنما للعدو. هذا كله وهو لا يزال ولياً للعهد، ولم يتولَّ الولاية التامة، فماذا سيفعل لو تولى دولة عربية مثل مصر، بل هو رئيسها، ولكن عن بعد، وعامله عليها هو عبد الفتاح السيسي، كما يذهب محللون سياسيون، وعامله أو مندوبه عليها مصريٌّ يحكي اللهجة المصرية بإتقان، ولكن ليس له بلاغة المواطن المصري. هذا كله وهو ولي عهد أبوظبي، وصفها أنور السادات بالدكانة على الخليج، ولم يزد على ذلك، ولو زاد لقال دكانة تبيع النفط. السادات بظرف المصري لم يكن منصفاً، فالناس بأفعالهم وليسوا بأحجامهم، وكذلك الدول، وإنَّ البعوضة تدمي مقلة الأسد. صاحبنا غني، وأمواله كثيرة، وإن كانت سوداء، لكنه يغسلها بالدماء والصابون فتخرج ناصعة بعد الغسيل. وقد يحسُن الفعل ويسوء، وقد أرسى هذا الكريم قواعد الديكتاتورية في خمس عواصم عربية من جديد، كما لم يحدُث في التاريخ من قبل، فولّى عسكرياً عييّاً اسمه عبد الفتاح السيسي مقاليد كنانة العرب. ووطّأ الأكناف لصبيٍ طائش يهوى لعبة «البلاي ستيشن»، والنجارة في البشر، على ولاية العهد في الحرمين، ويحاول جهده منع بشار الأسد من السقوط، فيرسل له العكاكيز السياسية والمالية واللوازم الطبية والمأكولات غير السامة، ومع أنه حليف عدوه إيران الأثير والوثيق في المنطقة، وهذا عجيب، وإن كان العجب سيزول لو عرفنا أنَّ عداوته الأصلية ليست مع إيران. وهو يدغدغ ثورة تونس بأموال سوداء ورشوات، ويدسُّ على تونس حسناء في مجلس الشعب، اسمها عبير موسي، فتناجز شيخاً كريماً فيلسوفاً قضى عمره في العراك والسياسة والنزوح واللجوء والسجون والفكر والقلم. وقسّم اليمن إلى أقسام، وأجزاء وأحزاب وكتائب واستنقذ منها سقطرى لنفسه، لجمال أشجارها وعذوبة مائها، أو لأن اسمها يشبه اسم قطر. وبلغنا أنَّ شعب اليمن يدعون له قياماً وقعوداً، كلما سقطت عليهم العطايا النارية من طائراته. وهو يبذل جهده في إعادة الوضع في ليبيا إلى أيام طيب الذكر القذافي، صاحب الأزياء والألقاب والطرائف والقصص. وسوى هؤلاء الأربعة الأوائل في الكرم والحلم والذكاء والشجاعة الذين سارت بهم الأمثال، هو يعيد التذكير بعمرو بن لحي في جلب أصنام الهندوس إلى الجزيرة العربية. وفضائله لا تعدّ ولا تحصى، واحدة منها أنّه صاحب المعتقلات وسفن الحبِّ السائحة في البحار، وله أصابع ومخالب في محاولة انقلاب تركيا. وهو لا يعرف اليأس لشدة إيمانه بآلهة الوافدين إلى أرضه، ويدعم حملات الانتخاب في أميركا، وتمويل حملات القصف في سورية ومالي، ويحالف اليونان. ملاحظة على أبيات أبي تمام، أنَّ الكندي كان فيلسوفاً، وقد ظلم أكرم العرب وأشجعهم وأحلمهم وأذكاهم بوصفهم بالأجلاف، فسكت له أبو تمام، ولو أنه أنصفهم لكان خيراً له، ولكل أجلٍ كتاب.

## عماد الدين أديب وجمع المفاتيح

**عبد الحكيم حيدر**

حاول عماد الدين أديب، صحافي البلاط السعودي في الرياض من ربع قرن (والإماراتي بجملة البيعة)، أن يلخص لنا مفتاح شخصية الأمير محمد بن سلمان. لاحظ أن عماد مارس هوايته المعتادة بأن المفتاح، أقصد مفتاح شخصية بن سلمان، أهداه له (مثلا) عن طيب خاطر طالب علم في لندن، أو عامل مقهى يعرف كرم الأسرة من خمسين سنة، أو دبلوماسي عجوز عاش في المملكة ستين سنة وكان يطلع النخل مثلهم، أو سيدة عجوز تربت في البيت الملكي، وتسكن في غرفة في فندق صغير بأطراف لندن، وتحج كل عام على حساب الأمير، وكلها مصادر عماد المضحكة أو تقترب منها، أو (كما أكد) من مصدر سعودي يعرف عن العائلة وتاريخها، القديم والحديث. وبالطبع يعرف الأمير محمد منذ نعومة أظافره قبل أن تتحول إلى مخارط كهربائية ومناشير بسنوات طوال. دائما عماد، بالمصادفة المحضة، سواء أكان في مقهى في لندن أو باريس أو أميركا، تأتيه تلك المفاتيح من أناس غرباء، أرسلهم القدر بالطبع، في هذه اللحظات العصيبة، كي ينقذوا البشرية ومستقبل العرب من الضياع الأبدي، لولا هذا المفتاح الذي جاءه مع رجلٍ غريب، لا يبغي سوى إرسال كلمة الخير والحق إلى الناس، ولم يجد على ظهر الأرض من ينقل هذه الأمانة إلى الناس، سوى عماد الدين أديب، كذلك الغراب الذي أُرسل من السماء، كي يعلم الإنسان كيف يوارى جثمان أخيه بعد الموت، وإلا فالموت والمجهول والضياع في انتظار هذه الأمة. وهذه الكلمات الأخيرة كلها من قاموس عماد الذي دائما ترسله السماء إلى الناس، كي ينقذ الناس في آخر اللحظات وأخطرها، كما أرسلته السماء أيضا ورجال الأمن في مصر إلى الجماهير قبل موقعة الجمل بثلاثة أيام، وأدّى الرجل أمانته في يومين على قناتين فضائيتين. ولم ينس أن يهدّد الملايين ببحور الدماء والنار... إلخ، فكانت موقعة الجمل التي، من وجهة نظري المتواضعة، هي التي أزاحت حسني مبارك، تاركة لنا باقي البارود في البلاليص (بلاليص السلطة أو المال أو الإعلام) على حالتها الأولى، أرضية للثورة المضادة في ما بعد، وهذا موضوع يطول شرحه.

أما مفتاح شخصية الأمير محمد فتتلخص في الآتي: «قوي يعرف عناصر قوته». طبعا، العدة جاهزة والطائرات معدّة وجوازات السفر مختومة، والأفران مقامة في إسطنبول، وممكن أن تقام، لولا الحياء، في كندا أيضا. «اقتحام الأزمات والصراعات». طبعا، بدليل نجاحه الصارخ في اليمن، نجاح تشهد له الركبان والثقلان. «إصلاحي لا سقف لأحلامه». (طبعا إصلاحي ونص)، بدليل حبسه أولاد عمومته وكل معارض، مدني أو ديني أو إصلاحي، حتى «النساء» اللائي أوصى عليهن النبي من أكثر من 1440 سنة. «حادّ الذكاء بالفطرة»، فمن ناحية حادّ الذكاء فهو حادّ الذكاء. وأترك للقارئ ملفّ جمال خاشقجي، كي يتأمّل هذا الذكاء الفطري الحاد. علاوة (طبعا) على عشرات الدكتوراهات التي أنجزها في أكسفورد، ويتحدث عنها الغرب يوميا. أما عن ذبابه الإلكتروني وطائراته السيّارة مع سعود القحطاني، فقد شهد لها العالم بقدراتها الفائقة. ويختتم عماد الدين أديب باقي أسنان المفتاح الذي يمثل شخصية الأمير (المنشار) بمصيبة تهتز لها الأركان بأن «الأمير ابن مخلص لمدرسة والده في الحكم»، وكأن كل ما فعله الأمير، خلال سنواته القليلة الماضية، ما هو إلا ثمار وأزهار وورود من تلك المدرسة التي تربّى فيها هذا الأمير الذي لا سقف لأحلامه في مدرسة الوالد. وكأن عماد الدين أديب ألقى بكل ما يفعله الأمير في حِجر والده، والعياذ بالله، في رمية واحدة. نحن هنا أمام تصريح خطير من رجلٍ يعتبر الرياض أقرب إلى قدميه من بولاق الدكرور من ربع قرن، وأنه الساعيُ الفعلي لتسويق هذه التوجهات الحديثة للمملكة «من سنوات»، في كل مطبوعاته المموّلة منذ ربع قرن في القاهرة، وهي كثيرة العدد وصعبة الحصر. علاوة على القنوات الفضائية له وللأخ عمرو أديب وزوجته، وبأكبر أجر لإعلامي عربي، وتحية في أثناء التعاقد من تركي آل الشيخ، وضربة ملاطفة على الظهر، ومن ستر الله، لم تسرح التحية إلى أسفل من موضعها. نحن أمام عائلة كريمة من المملكة، وتصريحات أشدّ كرما من رأس عائلة كريمة في مصر، بعدما أصبح البساط أحمديا من الرياض إلى مصر إلى الإمارات حتى وصل إلى أم درمان.

## اليأس أقوى من الأمل

**دلال البزري**

اليأس يستوطن ثنايا الأمل، متغلْغِل في ندوبه. تجده في الوقت. الأمل يحتاج إلى وقت أطول من حياة واحدة. كلما مرّ الوقت، كلما مرّ العمر، يسجّل الأمل انتكاسة. ولا مرّة يحرز «انتصاراً»، إلا على كذبة معطوفة على خراب. ومن أطلال هذا الخراب، يطلع عليك أصحاب «الدروس» المحفوظة. أنه «يستحيل» أن تنجح ثانية، بعد الكبوات، من دون أن تبذل جهوداً على مدى سنوات، سنوات من التضحية والصبر والاستشهاد. هذه الدورات من «الأمل المتجدّد» اصطناعياً، لا تتوقف عن «المبادرة» إلى القيام ببدايات. بدايات جديدة، متجدّدة، تتسوّل الجهد نفسه، الصبر نفسه، وعلى امتداد سنوات.

الأمل يضيّع وقتنا. مهما كان الجيل الذي ننتمي إليه. أصحاب «التجارب» السابقة، الفاشلة كلها، صاروا الآن فوق الستين من العمر. لم يبقَ لهم كثيرٌ من السنوات لـ«يراكموا». هم أصلاً أمضوا شبابهم بـ«المراكمة». تجد أحياناً من بينهم من يصرّ على العملية، حفاظاً ربما على دوره القديم. يشحنها بدعوته إلى إعادة إحياء مشروعه الفاشل السابق، والذي أثبت دائما أنه «كان على حق». ما يحتاج إلى جرعةٍ عاليةٍ من الافتعال.

ومن بين مريديهم الأقل جاهاً، هناك الأكثر تواضعاً وميدانية. هؤلاء يتسلّحون بأقصى درجات الأمل لإقناع الجيل اللاحق، صاحب التجربة المحدودة، بالمشاركة في نضاله، على طريقته. ولكن غالبية هذا الجيل لا تأبه بتلك المشاريع القديمة التي بُذلت الأنفس من أجلها. الجيل الوسيط اخترع مشاريع الأمل، وهو ماضٍ في مراكمة وصبر وتضحيات.

وقد يكون الجيل الأصغر أكثر قابليةً للأمل الجديد. تجده في المتطوّعين الكُثر الذين هرعوا إلى مكان انفجار بيروت النووي، ليسعفوا المتضررين ويكنّسوا الشوارع، ويرمّموا البيوت المتهدّمة .. إلخ. واضح أن هؤلاء أصحاب أمل نضِر، جديد على حياتهم. لم يختبروا قبل الإنفجار ما يزجّهم في أملٍ كهذا.

وبين الجيل الأقدم والآخر، الأحدث، تجد مزوحةً من الذين تأملوا وخابوا، وعادوا إلى الأمل من جديد. ولكن إذا اردتَ أن تُحصي مبرّرات اليأس، على أساس الأجيال، سوف تجد أن الذين عاشوا كذا حياة، كذا انفجار، كذا بدايات أخرى، هم الأكثر خبرة. ومعهم كلهم رشْفات عالية من الأمل ما لبثت أن خابت وماتت. من بينهم من هجر كل شيءٍ وهاجر. وآخرون دخلوا في روتين الأمل. لم يناكفوا الأمل، اعتادوه. صار جزءاً من تفكيرهم. طريقة صوفية في الحياة. إليكَ لوحة الأجيال التي عاصرناها، من الشيوخ إلى المراهقين، فيها حركة دورية: صعود حركة سياسية خارجة عن الحكم إلى ذروة إمكاناتها. ثم هبوطها، وأحيانا انسحاقها أو مصادرتها. وبعد ذلك، دعوة إلى عدم اليأس. إلى بذل التضحية، إلى الصبر. فصعود آخر، ينتهي بضربة. يليها الدرس الأبدي، أننا نحتاج إلى جهود على مدى سنوات .. وهكذا. الأشخاص أنفسهم، ومعهم آخرون يصغرونهم عمراً وتجربة دخولهم في نفق الأمل، وخروجهم منه، بأمل آخر.

وكأن لا أحد يتحمّل مسؤولية الفشل. كأن الأمل هو الواجهة «الأيديولوجية» لـ«النهوض مجدّدا». لم يُعلِن إلا القليلون عن مسؤوليتهم عن الذي أودى إلى الفشل، أو الهزيمة. لو يئس هؤلاء «المنبعثون من بين الركام» لقالوا إنهم يتحمّلون مسؤولية قلّة بصيرتهم، خطأ تقويمهم، كثرة تسوياتهم أو قلتها، أو أي شيءٍ آخر... لَتَنَحّوا جانباً، فصاروا أكثر حريةً في الإعلان الصريح عن فشلهم .. بعد ذلك، بدايات أخرى، بأدواتٍ قديمةٍ جديدة. وأمل يقفز من فوق السطور، ويزيّن لصاحبه انتصاراتٍ وهمية كالتي سبقت، فيما مكتوبٌ على الاثنين، من قديم وجديد، الفشل الذريع. حتى هذه اللحظة على الأقل. اليأس أقوى من الأمل. في الأخير ادّعاء بمعرفةٍ شاملةٍ، بإحاطة بكل التفاصيل، بتوقع أكيد. فيما اليأس علم بعدم العلم. ربما من كثرة العلم، أو من تفادي دهاليز النقاشات البيزنطية، أو صفاء الذهن. إنه، أي اليأس هنا، من باب حكمة المعرفة بعدم المعرفة، بعدم التوقُّع. أيضاً، اليأس أقوى. لأن الأمل سهل. فيه خطيئة عن معنى الحياة، أنها دورة لامتناهية من الأعمار المتروكة على قارعة الطريق. حيوات عدّة، أحداثٌ تأسيسيةٌ لا تُحصى، حروب، انتفاضات، مجازر، أو انفجارات .. كلها تضع نصب أعينها وقوداً من رجال ونساء، يحملون الأمل، لا ييأسون، لا يراجعون، لا يتساءلون .. يمشون بأعمارهم وكأنها من ضرورات الموت. اليأس يبدأ صعباً، أحيانا مستحيلاً. ولكنه لا ينتهي لا بخيبةٍ، ولا بكبوة. لا غرابة إذا بلغ صاحبه اليأس. يرى، يراقب، يحاول أن يفهم، يقرأ في الكتاب نفسه. ولكنه لا ينصّب نفسه وصيا على الفينيق، ناطقا باسمه، ليعِدَنا بأننا سوف «ننبعث من جديد». اليأس أقوى، لأنه يتفادى كسلاً ذهنياً يرافق صاحب الأمل. كسلٌ تصاحبه طاقةٌ خاصة، صاحبها يمجّدها، يجد فيها منبع الحياة والاستمرار على قيدها. تلك الطاقة التي تجعله يتحمّل تعقيدات وتركيبات الكلام الذي يتصدر الأمل. فيما هذا الأخير، أي الأمل، ليس له برهان.

اليأس أقوى لأنه يعفيك من محرّك الأمل الذي يلزم صاحبه بإسباغ وقائع على الوقائع، لكي يقوم «تحليله» على رجلَيه، ويستمر. يبدو للوهلة الأولى أن اليأس أسهل من الأمل، أخلاقياً. وقد يكون كذلك عند بعض المتردِّدين. ولكن إذا كنتَ مسؤولاً عن يأسك، عليكَ أن تدافع عنه بمزيد من الطاقة الذهنية. أن تشحذ ذهنك، أن تشذّبه. وما يساعدك على ذلك، حريتكَ، أي مسؤوليتك الشخصية في تحمل تبعات تلك الحرية.

اليأس أقوى من الأمل. ولكنه ليس أكثر تيسّرا منه. ولا أقل إيلاماً، فاليأس وفيرٌ والأمل ضئيل. اليأس جذري، راديكالي، فيما الأمل ترقيعيٌّ، مصنوع. اليأس الذي أعنيه ينتمي إلى «الآن، هنا». في هذه اللحظة، في هذه البقعة من الكوكب. وهو ليس استسلاماً. أي أنه ليس تسليماً بالخراب والموت. إنها فكرةٌ مؤقتة، لا تدّعي الارتقاء إلى أكثر. تكمن حصانتها في أصالتها، في عدم حاجتها إلى التحليل المتكلّف والمرتبك، أو الأغاني، أو الفولكلور. هي فكرةٌ نابعةٌ من أبسط معيوشها، من أبسط تعبيرات هذا المعيوش. وقد تنطوي بدورها على «بدايات»، ولكن لا بد من تجربتها. فقط لكي لا نقول، عند انتهاء أعمارنا، إن اليأس كان هنا، أمامنا، بوجهنا، ولم نره، لم نحاول. يجدر تجربة اليأس، طالما أننا أصلاً بصدد بدايات. كل حياتنا بدايات.

(كاتبة لبنانية)

> اليأس وفيرٌ والأمل ضئيل. اليأس جذري، راديكالي، فيما الأمل ترقيعيٌّ، مصنوع

**كاريكاتير** عماد حجاج

## الإمارات وإسرائيل ومستقبل الخليج

**محمد صالح المسفر**

الأشهر المقبلة حبلى بأحداثٍ جسام، قد تضع حملها المخيف على أرض الخليج العربي. «معاهدة السلام» المعلنة من البيت الأبيض بين الإمارات وإسرائيل عمل مخيف. ليس المقصود بالمعاهدة «إحلال السلام»، وإنما أغراض أخرى، سعيا إلى تحقيق غاياتٍ يخطط لتنفيذها ولي عهد أبوظبي، محمد بن زايد، في المنطقة. بعد خطة لم تعد سرّية لبناء جيشٍ قويٍّ مدرّبٍ ومجهّز بأحدث أنواع الأسلحة. وللإمارات وحداتٌ عسكريةٌ ميدانيةٌ تعمل في أفغانستان، ووحداتٌ عسكريةٌ مقاتلةٌ مشتبكةٌ في حربٍ حية منذ أكثر من خمس سنين في اليمن، ولها قوات مقاتلة في ليبيا. وهي تشارك عمليا في الحرب الدائرة بين الأكراد وتركيا. وأحدث صرعة إماراتية إرسال بعض أسراب القوات الجوية إلى المنطقة المضطربة عسكريا في شرق البحر الأبيض المتوسط، للاشتراك في مناورة جوية وبحرية مع فرنسا وإيطاليا واليونان وقبرص، موجّهة بالضرورة ضد تركيا التي تجري، في الوقت ذاته، تدريبات عسكرية بحرية، تشارك مع سفن تركية فيها قوات بحرية من دول حليفة، وذلك ردّا على تلك المناورات. ويوحي هذا كله أن منطقة شرق المتوسط توحي بمواجهاتٍ مسلحةٍ ستكون شرسة، وستمتد آثارها إلى كل منطقة الشرق الأوسط إن وقعت.

(2)

تعمل الإمارات، بقيادة محمد بن زايد، على السيطرة على الممرات التجارية والمضائق المائية، كما فعل البرتغاليون والإنكليز من بعدهم في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، للهيمنة على تلك الممرّات، لتقوية مكانتهم والتحكّم في طرق التجارة العالمية. تلك أيام خلت، وأُخرج البرتغاليون على أسنة الرماح والإنكليز خرجوا مكرهين عام 1971، فهل يعتقد محمد بن زايد أن الأمر سيستتب له، ولو على أسنّة الرماح، وبالتعاون مع العدو الإسرائيلي؟ من أهدافه التي يعمل على تحقيقها، بكل ثقة وقوة، أن يكون الرجل الأول والأقوى في الوطن العربي، فالعراق أخرج من دائرة القوة في المنطقة عام 2003، وكان يُحسب له حساب، ومصر لم تعد فاعلة بعد تولى العسكر السلطة منذ 2013، وسورية العروبة تُنهش أطرافها، وقلبها ينزف دما، ولم تعد لاعبا في الساحة العربية، فإيران وروسيا تسيطران على الأرض والسلطة والموارد في هذا البلد. ويعمل محمد بن زايد على إخراج السعودية من دائرة الضوء الدولية، ويجعلها دولة هامشية في المنطقة، ويعمل على تمزيقها من الداخل بطرائق متعدّدة.

معاهدة الاستسلام المعلنة في 13 الشهر الماضي (أغسطس/ آب) هي، إلى جوانب أخرى، بغرض استقواء الإمارات بها في واشنطن، وكذلك في المنطقة. وتفيد التقارير الموثوق بها بأن القيادة العسكرية الإماراتية اصطحبت خبراء وقيادات عسكرية إسرائيلية إلى جزيرة سقطرى اليمنية في بحر العرب، على تخوم باب المندب، والغرض من تلك الزيارة المهمة وغير القانونية وضع المخططات النهائية لإقامة قواعد عسكرية جوية وبحرية لدولة الإمارات. وستكون إقامة قاعدة عسكرية إماراتية، بالتعاون مع إسرائيل، في جزيرة سقطرى، أخطر قرار على المنطقة، إذ ستهدد تلك القاعدة أمن الممرات المائية من مضيق هرمز وباب المندب، وبالضرورة قناة السويس، إلى جانب الهيمنة على القرن الأفريقي، ويعد ذلك كله تهديدا للسلم والأمن في هذه المنطقة. إنها خطوة متقدمة في إلحاق الأضرار السياسية والاقتصادية والاستراتيجية بالدولة السعودية، بقيادة محمد بن سلمان. ولن يقبل محمد بن زايد إلا أن يكون الرجل الأول في المنطقة، وأن يكون السعوديون خلفه، وبلدهم الأكبر في الجزيرة العربية.

(3)

أصبح الجنوب اليمني من سقطرى إلى الحديدة، مرورا بكل موانئ اليمن، منطقة تحت الاحتلال الإماراتي من دون منازع، يُدخل إليها من يشاء من البشر والقوى، ويمنع أهل اليمن عنها، وذلك تحت سمع الدولة السعودية وبصرها، في عهد الملك سلمان وولي عهده، والمملكة هي قائدة التحالف العربي من أجل استعادة الشرعية في اليمن، وتحاول أن تستولي على محافظة المهرة وما جاورها، نصيبها من تقسيم أرض اليمن الذي مزّقته دول التحالف التي ألحقت بالأرض والشعب الدمار والهلاك. وفي الأثناء، لم يترك محمد بن زايد ومحمد بن سلمان لدولتيهما نصيرا ولا حليفا إلا إسرائيل وأميركا. وقريبا سيأفل نجم الرئيس الأميركي، ترامب، ولو بعد أربع سنوات أخرى، وسيتعرّى المحمدان، ولن يجدا لهما نصيرا إلا إسرائيل التي ستعصف بهما، لأن مصالحها فوق الجميع، والتاريخ مملوء بالعبر والسوابق. تعادي السعودية والإمارات قطر علانية، وعُمان والكويت سرا، وكذلك إيران وتركيا في المحيط العربي. تعاديان ماليزيا وباكستان، ومعظم الدول الغربية ليست راضية عن سلوكهما السياسي، وهما تحت مقصلة منظمات حقوق الإنسان العالمية. تعاديان قيادات الفكر الديني الإسلامي، وأصحاب الرأي منهم، وقادة الفكر القومي العربي. يحقدان أشد الحقد على قطر، شعبا وقيادة، وكذلك الكويت وعُمان، وليس مستبعدا أن يعبثا بأمنهما في مقبل الأيام.

آخر القول: لا يمكن التنبؤ بسلوك المحمدين، بن زايد وبن سلمان، السياسي والعسكري والتآمري، وبما سيفعلان تجاه دول الخليج العربية، فاحذروا كيد الحاقدين.

(كاتب وأستاذ جامعي قطري)

> لا يمكن التنبؤ بسلوك المحمدين، بن زايد وبن سلمان، السياسي والعسكري والتآمري



## عندما تنتهك الدولة المصرية الحق في الصمت

**عصام شعبان**

في سابقةٍ هي الأولى، الدولة المصرية تختصم نصف الشعب، فبعد تدنّي نسب المشاركة في انتخابات الشيوخ (8 ملايين و959 ألفا بنسبة 14%)، أصدرت لجنة الانتخابات بيانا بتحويل المتخلفين عن التصويت (54 مليونا من أصل 62 مليونا و940 ألفا) إلى النيابة. وتبدو هنا معالجة المشكلة، في طابعها العقابي، تحمل قدرا من فانتازيا سينمائية سوداء، وتبرز تناقض ممارسات النظام، فهو يفرض الصمت، ويحاصر المجال العام. وفي الوقت نفسه، يطالب بفاعلية للمواطنين ومشاركة في الانتخابات، ويلوّح بالعقاب إن لم يشاركوا فيها، ويعاقبهم على غيرها من أنشطة سياسية. المشاركة القسرية في الانتخابات غير ممكنة إلا في حدود ضيقة، والعقاب والغرامات المالية لاستعادة المشاركة الشعبية لن تجدي، ولا تفعل عمليةً سياسيةً تعاني حالة موات.

أسباب عدة لتدنّي نسب المشاركة السياسية عموما في التجارب السابقة، منها المعاناة الحياتية، وعدم الشعور بجدوى المشاركة وتأثيرها، عبر الإحساس بالإحباط وفقدان الأمل في التغيير. هذا يجعل الانخراط في أي نشاط اجتماعي أو سياسي محدودا. المشاركة في الانتخابات بوصفها جزءا من المشاركة السياسية الرسمية، سواء بالتصويت أو الترشح، تتعلق أيضا بالإجراءات المنظمة وطبيعة النظام الانتخابي، فضلا بالطبع عن حالة الحريات وأوضاع الأحزاب والكتل السياسية وفاعلية المجتمع المدني.

ومع التسليم بأن ليس كل مُقاطع معارضا للسلطة، فإن هؤلاء وغيرهم اعتبروا أن أصواتهم غير ذات أثر في تشكيل مجلس الشيوخ، فمن ناحيةٍ اختير ثلث المجلس قبل الانتخابات عبر قائمةٍ لا منافس لها، وثلث ثانٍ معين من رئيس الجمهورية، والثلث الأخير لا يلمح بين المرشحين فيه تمايزا سياسيا واجتماعيا، يمثل حافزا للتنافس والتصويت. وهناك عدة ظواهر دفعت إلى انصراف المصريين عن التصويت في الانتخابات، منها عودة رجال المال والأعمال إلى التحكّم في العملية الانتخابية، بالإضافة إلى ملامح التوريث السياسي عبر علاقات القرابة والمؤسسات، رجال أعمال رشحوا أبناءهم، وعائلات رشّحت صفا ثانيا يُكمل مسيرتها السياسية التي تعطلت بعد يناير/ كانون الثاني 2011. لعب هذا كله دورا في تجاهل التصويت والانتخابات عموما. وعلى الرغم من اختلافاتٍ بين أجواء انتخابات مجلسي الشورى 2012 والشيوخ 2020، إلا أن هناك تشابهات يمكن من خلالها فهم جانب من تدني نسب المشاركة، منها أن ثلثاً في كل من المجلسين معين، بالإضافة إلى أن وظائف المجلسين متشابهة. كما أن مخرجات قانون مباشرة الحقوق السياسية ونظام القائمة المطلقة تهدر الأصوات، وتمهد الطريق إلى هيمنة كتل سياسية، وتحدّ من مشاركة المكونات ذات الوزن المحدود نسبيا. وقد أقرّ قانون مباشرة الحقوق السياسية 54 لعام 2014 عقوبةً للمتخلفين عن التصويت. إنه يستدعي مواطنين إجباريا للتصويت، ويعاقب الممتنعين عن المشاركة، بينما يتم تضييق الخناق على أشكال التعبير والمشاركة في المجال العام. وتكفي هنا الإشارة إلى مئات القضايا التي تضم متهمين بترويج الأكاذيب، بسبب منشور على «فيسبوك» أو تغريدة على «تويتر». في البرلمانات، بما فيها مجلس النواب المصري، لأعضاء الحق في الامتناع عن التصويت في الجلسات، بينما يُعاقب المواطن إذا مارس الحق نفسه في الانتخابات، على الرغم من محدودية تأثير دوره، قياسا بدور النواب الرقابي والتشريعي. ويشكل ذلك تمييزا، وينفي حق الاختيار، كما للمتهمين الحق في الصمت أو الامتناع عن الكلام في أثناء التحقيقات، ويُنتزع من بعض المتهمين الاعتراف تحت ضغوط العنف الجسدي والنفسي. وعلى الرغم من أن النظم السلطوية لا تحب سماع صوت مختلف، وتضيّق سبل التعبير عن الرأي، إلا أنها تريد أن تنتزع اعترافا بشرعيتها من خلال حشد المشاركة في العملية السياسية، أي تنتزع الأصوات بالعقاب القانوني، وكأنها تمتلك صوتك في الانتخابات، وجسدك في السجن، وقوة عملك في السوق. وإذ تقدّم لك الخدمات، يمكنها تحديد المبالغ وزيادتها، طالما لا توجد أطر لتحديدها، غير أنها تحبّ التفنن في فرض الضرائب والغرامات، لجمع حصيلة مالية للموازنة، بعد أن انتهت مساومات ومزايا اجتماعية في مقابل قبول السلطوية، فيصبح النمطان، الإفقار والاستبداد، صنوين.

غالبا ما تكرّر وسائل الإعلام، وتشدد على ضرورة المشاركة في الانتخابات، وتصفها بأنها «عرس ديمقراطي». وعلى الرغم من أن هذه العبارة المكررة دعائية، إلا أنها تمس جانبا من السياسة أنثروبولوجيا، وتتضمن عمليات اتصال وتفاعل وضبط اجتماعي وعلاقات قوة ونفوذ. هل يُتصوّر أن يقام عرس بدون مدعوين للحفل؟ وإذا كان «العرس» محدود المشاركة، ربما يُشعر صاحبه بالإهانة، خصوصا إذا كان يهدف إلى كسب شبكة علاقات جديدة، وتقوية الصورة الذهنية عن النفوذ والعزّة والسطوة، كما أن «محبة المدعوين للعرس» يعكسها حضورهم. وإذا لم يوفق في مناسبةٍ، يشدّد الدعوة في مناسبة قادمة، لكن الغريب أن يهدّد من لم يحضر، قد يجتمع جمهور المغانم والمصالح والمجاملات، لكن بقاءه لا يدوم. للتصويت، باعتباره خطوة اتصالية ضمن الممارسة السياسية، صفة اختيارية وإرادية، وأهداف ووظائف. كما أن التصويت رأي مقولب، ضمن صور المشاركة السياسية. وإذا لم يجد الفاعلون أن وسيط الاتصال (قواعد عملية الانتخاب ومضمونها) يمثل وظيفة وقيمة مؤثرة في البناء السياسي، وأن مخرجاته ذات جدوى فسيمتنعون عن التصويت، سواء كان الامتناع يُنظر إليه انسحابا عفويا نتاج إحساس بالإحباط، أو مخططا ومستندا إلى رؤيةٍ، والبناء عليها أو خليط من الحالتين. وقد أرادت السلطة من مجلس الشيوخ إعادة تدوير النظام السياسي، عبر دمج مكونات سياسية واجتماعية داخل مؤسساتها، وهذا استلزم جمهورا لا يمكن أن يستدعي منه ملايين بالأمر المباشر، أو التهديد، وإذا كانت العقوبات والضغوط تصنع مشهدا انتخابيا، فغالبا سيكون مؤقتا ومحدودا.

إجمالا، هناك أسباب عامة لتدنّي مستوى المشاركة، بالإضافة إلى أسبابٍ في سياق تجربة مجلس الشيوخ، ولا يجدي التفسير الجاهز عن المتآمرين، أعداء الوطن، ودعاوى الخارج إلى المقاطعة، فالمتابع للمشهد يستطيع الاستنتاج أن تدنّي نسب المشاركة لم يكن نتيجة جهود قوى دعت إلى المقاطعة من خارج مصر أو داخلها. لا الإخوان المسلمون أو الحركة المدنية بذلوا جهدا ذا وزن، ولا يستطيع كلاهما الادّعاء بتحريك كتل جماهيرية مليونية، أو التأثير فيها، كما في سنوات مضت. قاطع الممتنعون بمفردهم، وبعضهم لم يهتم أصلا بالانتخابات، وبعض فئاتٍ فوجئت بها، حين أراد النظام إجراءها بسرعة، كما يستعجل إجراء انتخابات النواب بالطريقة نفسها. وربما تشابه التشكيلة السياسية التي تشكلت بعد تعديلات الدستور، بالإضافة إلى أن تكرار وسائل الإعلام أن الشعب مسيّر من قوى خارجية متآمرة، فضلا عن أنه غير صحيح، فهو يشكل إهانة لمن تدعوه إلى المشاركة.. المشاركة ليست فعلا قسريا يمكن تحقيقه بضغوط، أو أوامر وعقوبات سلطوية.

(كاتب مصري)

> تدنّي نسب المشاركة في انتخابات مجلس الشيوخ لم يكن نتيجة جهود قوى دعت إلى المقاطعة

خلال التصويت في القاهرة، 11 أغسطس 2020 (محمد مصطفى/Getty)

## على ضفاف نهري الدم والنفط

**ياسر أبو هلالة**

قلّ أن تجد كتابا تعامل معه الإعلام العالمي بمنطق العواجل والسبق الإخباري مثل كتاب «النفط والدم»، وهو أسوأ سيرةٍ يمكن أن تُكتب لحاكمٍ في العالم، ولولا أنها سيرة حقيقية عاشها العالم، وكتبها صحافيان مرموقان (برادلي هوب وجوستين شيك)، لهما صدقية عالية، لاعتبر الكتاب نوعا من البروباغندا التي تستهدف ملك السعودية المقبل. ولعل أسوأ ما في تلك السيرة خاتمتها على لسان المقرّبين من ولي العهد السعودي محمد بن سلمان، فبعد جائحة كورونا التي بدّدت ما تبقى من أحلامه، وبعد تهجير الحويطات بشكل دموي لبناء وهم نيوم، تحدّث الفريق المحيط به «انسوا النقاد، أمضى محمد بن سلمان سنوات عديدة لتثبيت رؤيته، وهو ليس ملكا بعد. قد ينتهي إرثه في عشرة أعوام أو عشرين أو حتى ثلاثين»!

ليست بالتمنيّات، هذا هو الواقع، صحيحٌ أنه قد يتغيّر بشكل مفاجئ، كما حصل في إيران، وفي الربيع العربي، والاتحاد السوفييتي. وفي المنطقة، حكم معمر القذافي بالنفط والدم أربعة عقود حتى بنى إرثه، وأسرة الأسد تحكم منذ نصف قرن، بعد تدمير البلاد وتشريد العباد. وفي النهاية، سواء جاء في الولايات المتحدة الديمقراطيون إلى الرئاسة أم بقي ترامب، فإن المنطقة تتعامل مع من وصفه الرئيس الباكستاني في آخر فصل من الكتاب «الطفل المدلل لا يمكن الوقوف في وجهه».

الكارثة أن الطفل المدلّل عدواني ودموي بشكلٍ يفوق الطغاة الذين عرفتهم المنطقة. لا يمكن تخيّل كيف تم تقطيع جمال خاشقجي ونشرُه، ولا كيف تم قتل مائة ألف شخص في اليمن، بدون أن يشاور أحدا في قراره، ولا كيف اختطف رئيس الوزراء اللبناني، سعد الحريري، ولا كيف فكّر في غزو قطر وحاصرها. في المقابل، يُنفق بلا تفكير، سواء في شراء لوحةٍ أم يختٍ أم قصر، أو يدخل في استثمارات مليارية في دقائق. يواجه أزمة شرعيةٍ عميقة. بحسب الكتاب، اختُطف ولي العهد محمد بن نايف إلى الديوان الملكي، وأُجبر على التنازل عن موقعه، لم تجتمع هيئة البيعة. اتصل بهم الملك هاتفيا، لم يكتب الأمير تنازلا، مع أنه تعرّض للتعذيب، وهو المصاب بالسكري والضغط، ومُنع من النوم وحبس في غرفة، وتناوب عليه تركي الشيخ وسعود القحطاني تهديدا وترويعا، وأدخل تحت تهديد السلاح ليصافح ولي ولي العهد الذي قبّل قدمه، ما لم يظهر في الصور التي التقطها سعود القحطاني صورة ضابط الحرس الذي أَشهر السلاح في وجه ولي العهد المُجبَر على التنازل.

في العالم العربي شرعية القوة لا قوة الشرعية. لا أحد سيجبر محمد بن سلمان على التنازل، وقد يُكمل أربعة عقود كالقذافي، وقد يتغير غدا. القضية هي قضية الشباب السعودي الذين يعتقد الأمير الشاب أنه يحقق أحلامهم. لا أحد يعرف إن كان هؤلاء قُمعوا أو رضوا باحتفالات الرقص، أم أن غضبهم يتراكم، كما حصل مع شباب الربيع العربي، في دولٍ أكثر قمعا. المؤكد أن وعي الشباب السعودي في ازدياد، وأن الانفتاح الاجتماعي الذي حققه الأمير الشاب يجلب معه، ضمنا ورغما عنه، انفتاحا على أكثر أفكار العالم حداثة، ومنها ثقافة الديمقراطية.

يوثق مؤلفا الكتاب مصطلح «الذباب الإلكتروني»، الذي أسسه سعود القحطاني، وتفاصيل اختراق «تويتر»، آليةً للتحكّم في الشباب السعودي. في الأسبوع الماضي، بدا أن الذباب غير قادر على مواجهة غضب الشباب ضد التطبيع مع إسرائيل، وتصدر وسم «التطبيع خيانة»، و«خليجيون ضد التطبيع». اضطرّت الحكومة السعودية، بعد صمت يومين، إلى تبرير موقفها من السماح للطيران الإسرائيلي بالتحليق في بلاد الحرمين، باعتبار ذلك موافقةً للإمارت ولجميع الدول.

على الأمير الشاب أن يدرك أن الشباب لا يغريهم نهر النفط، ولا يخيفهم نهر الدم. قد تكون النقطة المضيئة في شخصيته هي الجرأة والشجاعة، ربما لأنه شاب، وهي صفةٌ يتمتع بها الشباب السعودي أيضا.

## كورونا... دروس مغربية

**محمد أحمد بنّيس**

بدأت جائحة كورونا في المغرب تتحوّل إلى إكراه بنيوي، في ضوء المؤشرات الصحية والاقتصادية والاجتماعية الحالية، التي تؤكد صعوبة السيطرة على الوباء، ووقف تفشّيه، على المدى القريب. وإذا كانت الدولة قد نجحت، نسبياً، خلال الأشهر الأولى في التعامل مع الجائحة، فإن استمرار تفشّي الفيروس بات يربك حساباتها، بسبب محدودية الخيارات والبدائل المتاحة أمامها، وخصوصاً في ما يتعلق بِرداءة المنظومة الصحية، وشحّ الموارد البشرية والمادية واللوجستية، من دون أن يُغفل غياب التدبير الأفقي للجائحة، أمام ضعف مؤسسات الوساطة والتأطير التي أظهرت عجزها عن التفاعل مع ما أثارته كورونا من أسئلة وقضايا.

صحيحٌ أن هذه الصورة القاتمة تندرج ضمن أزمةٍ كونيةٍ كبرى، تجتاح مختلف بلدان العالم، إلا أن لكل بلد شروطه وتوازناته وإمكاناته التي قد تُحدث الفارق، ولو نسبياً، في مواجهة الجائحة. وإذا كان بعضهم يرى أن الدولة قامت بما يجب القيام به، لحصر تفشّي الوباء، وبالتالي، من غير المنطقي تحميلها مسؤولية ما أبداه المغاربة من تراخٍ في احترام الإجراءات الوقائية، فإن ذلك ليس إلا النصف الملآن من الكأس، بينما يقع نصفها الآخر ضمن ما استجدّ في إدارتها الجائحة إبّان الشهرين المنصرمين. ففي الشق الصحي، قلّصت الدولة التدابير الاستشفائية التي كانت تخصّ بها المصابين إلى الحد الأدنى، بسبب ارتفاع أعدادهم، وافتقادها الخبرة في التعاطي مع الأوبئة والجوائح. وفي الشقّ الاقتصادي، كان لزاماً عليها تخفيف تدابير الحجْرِ الصحي، من أجل تحريك عجلة الاقتصاد، بعد ثلاثة أشهر بيضاء كانت مكلفةً اجتماعياً، والسماحُ بانتعاش بعض القطاعات الحيوية، على الرغم مما حمله ذلك من مخاطر جمّة على صحة فئات واسعة. وقد أثبت الارتفاع المطّرد في أعداد المصابين والمتوفين، في الشهر الماضي (أغسطس/ آب)، أن الحكومة عاجزةٌ عن إيجاد خيط رفيع يصل بين متطلبات الاقتصاد والصحة.

تبدو الجائحة مختبراً مفتوحاً لاستخلاص دروسٍ يبدو المغاربة، سلطة ونخباً وشعباً، بحاجةٍ إليها. أولها أن البلد بحاجة لنموذج تَنموي متوازن وعادل يحفظ كرامة الجميع، وتحتضنه بيئة ديمقراطية سليمة، تسمح له بالتطور، ونخبٌ وطنية وجهوية قادرة على إنتاج الحلول بشأن ما يستجدّ من قضايا. وقد رأينا كيف تحوّلت مواقع التواصل الاجتماعي إلى مصدر لإنتاج «الحقائق» الطبية والسياسية والاقتصادية بشأن كورونا، في وقتٍ كان يُفترض فيه أن يكون هناك نقاش عمومي واسع، تؤطره هذه النخب وتُغنيه. كشفت الجائحة وجهاً آخر لهذه النخب، فعوض أن تجتهد أطيافها المختلفةُ في البحث عن حلول اقتصادية واجتماعية، للتخفيف من تبعات الجائحة، بدت منشغلة، أكثر، بما ستغنمه في الاستحقاقات الانتخابية المقبلة. ما حاجة المغاربة بشبكة نخب واسعة تتغذّى على الريع السياسي؟ ما حاجتهم بمجالس جهوية إذا لم تكن قادرةً على تقديم حلول جهوية ناجعة لأزمة بحجم الدخول المدرسي مثلاً؟ إنه الحصاد المرّ لسنوات طويلة من السياسات العمومية التي حولت قطاعات حيوية منتجة بطبيعتها، مثل التعليم والصحة، إلى عبءٍ سياسي واجتماعي بمباركة هذه النخب والمؤسسات الدولية المانحة.

لقد أثبتت كورونا مدى الحاجة إلى بنياتٍ صحيةٍ قويةٍ ومتطوّرة، ومواطنٍ واعٍ ومتعلم ومتحضر يُبيّض وجه الدولة، ويكون سنداً لها في الأزمات الطارئة. كذلك كَشفت محدودية المشاريع الاقتصادية الكبرى، من دون رفدها بسياسات اجتماعية متكاملة.

يواجه المغرب وضعاً صعباً للغاية، فالوباء مستمرٌّ في التفشّي، ومعدل النمو الاقتصادي يتراجع، وعوائد السياحة وتحويلات المغتربين والاستثمار الأجنبي والصادرات انخفضت إلى مستوياتٍ قياسية. وطيفٌ عريضٌ من النخب الاقتصادية لا يبدو مستعدّاً لتحمّل جزءٍ من التكاليف الاجتماعية للجائحة، ذلك كله يؤكد الحاجة إلى أن تصبح كورونا قطيعةً مفصليةً في السياسات العمومية المتبعة منذ الاستقلال، على درب إعادة توجيه بوصلتها بما يسهم في بناء المجتمع وتأهيله لمواجهة الأزمات واستخلاص دروسها.

# التطبيع، التحالف، صفقة القرن...

**كمال عبد اللطيف**

لا يمكن اعتبار أن المنطق السياسي والتاريخي الذي يتحكَّم اليوم في العلاقات الجارية على قَدَم وساق بين إسرائيل وبلدان عربية عديدة، بصورة مباشرة أو بتوسُّط الداعم الرسمي للكيان الصهيوني، الولايات المتحدة الأميركية، مماثل لما تم خلال عقود القرن الماضي. وإذا كان مؤكدا أن موجة التطبيع المُعلن، أو المُقَنَّع، سواء التي حصلت بالأمس أو التي تحصل اليوم، تلتقيان في مبدأ التخلي عن إسناد المشروع الوطني الفلسطيني التحرّري ودعمه، مقابل منح الكيان الصهيوني ما يسمح له بمزيدٍ من التطاوُل على ما تبقَّى من الأرض والعمل على ضَمِّها. يحصل ما ذكرنا برعاية وإشراف الولايات المتحدة الأميركية التي ترى في الوجود الإسرائيلي في قلب المشرق العربي من الوسائل التي تسعفها بمزيد من تفتيت البلدان العربية واستغلال ثرواتها المادية والرمزية.. حيث يُعاين العالم أجمع في العمليات العدوانية المتواصلة استيطانَ وطنٍ وتحويل أهله إلى لاجئين وشتات.

واجهت الشعوب العربية موجات التطبيع الأولى، كما واجهت مكاتب التطبيع الناشئة في أكثر من قطر عربي، ومن دون الحديث عن بعض أنماط التطبيع الأخرى القائمة والمسكوت عنها. واجه الشارع العربي مختلف صور الموجة الأولى بالمظاهرات الغاضبة وإحراق الأعلام، وتَمَّ التنديد في تنظيمات المجتمع المدني بخطوات التطبيع والمطبّعين، كما تَمَّ التنديد بالغطرسة الصهيونية وبالمستوطنات التي ما زال الكيان الصهيوني لا يتردد في إقامتها في ما تَبَقَّى من الأرض الفلسطينية. ولا يتردد بعد ذلك، في إعلان ضَمِّها إلى الأراضي المحتلة. وظلت أنظمة سياسية عربية كثيرة ترعى الحقوق العادلة للقضية، وتدفع المنتظم الدولي إلى اتخاذ الإجراءات التي تساعد على بناء سلام عادل في فلسطين.

ترتبط الموجة الجديدة التي انتقلت من التطبيع إلى التحالف، في زمن الصراعات المشتعلة في المشرق العربي، زمن الحصار المضروب على الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة، بجانب صور الحجر الصحي المرتبط اليوم بوباء كورونا وتداعياته، ترتبط موجة التحالف، في صيغته الجديدة، مَمْهُورَةً بالأحلام المتطلعة إلى مزيد من تفتيت اليمن وليبيا وسورية، ومن أجل الوقوف في وجه القوى الإقليمية، وصناعة أمجاد وهمية على حساب كل الانهيارات العربية .. تأتي لتتوّج مساراً طويلاً ومعقَّداً من التحوُّل الحاصل في موضوع المشروع الوطني الفلسطيني، والملابسات التي صاحبت توقيف إجراءات مسلسل السلام كما رسمته اتفاقية أوسلو.

أصبحت القضية بعد أزيد من ربع قرن على الاتفاقية المذكورة، وأربعة عقود على البدايات المُعْلَنَة لمشروع السلام العربي الإسرائيلي في «كامب ديڤيد»، أمام أمر واضح، توسيع مشروع توطين الكيان الصهيوني فلسطين، وبداية إنهاء المشروع الوطني الفلسطيني. لقد أصبحنا أمام إجراءات الحكم الذاتي الانتقالي، وهي إجراءاتٌ يؤطّرها تدبير سياسي يُعْنَى بمنطق أقل الخسائر. ويمكن أن نضيف إلى ذلك صور الانقسام الفلسطيني المتواصل على حساب المشروع التحرّري الفلسطيني.

يمكن أن نفكر في التحالف الإسرائيلي الإماراتي في سياق مآلات القضية الفلسطينية، فقد طبعت الإمارات مع إسرائيل منذ زمان، مثل دول عربية أخرى. أما ما حصل قبل أيام برعاية أميركية، فيمكن إدراجه ضمن مشروع سياسي محدَّد، مشروع يتجه إلى تغييب المشروع الوطني الفلسطيني، وتعزيز نوعية الحضور الإسرائيلي في الخليج وفي المشرق العربي. ما يواجه الخطوة الإماراتية ويمنحها السياق والهدف هو مشروع صفقة القرن، والذي لا يمكن فهم مختلف أبعاده من دون ربطه بمشروع الشرق الأوسط الجديد الذي يجري العمل على إحيائه، في وقت تعرف فيه المجتمعات العربية كثيراً من الاندحار والتراجع.

بمتابعتك الآراء والتحليلات المهتمة برصد دلالة ما يجري على القضية الفلسطينية، سواء المواقف الإسرائيلية أو المواقف الأميركية والعربية، يتبين لك أن الرجّة التي حصلت، والسياقات السياسية العامة التي تؤطرها، دفعت كثيرين من أصحاب الرأي إلى الحديث عن نهاية المشروع الوطني الفلسطيني، ذلك أن ما يرافق مشروع صفقة القرن من ملابسات حوَّلت العرب إلى مجموعة من الأنظمة المنخرطة في حروب بالوكالة، أنظمة بلا ذاكرة وبلا قيم ومبادئ، أنظمة تابعةٍ مع قليل أو كثير من البلاهة السياسية.. ساهم كل ما ذكر أعلاه في دفع بعض الآراء إلى الشعور بأن مأزق القضية اليوم خانق، لا خيارات قادرة على وضع القضية الفلسطينية في الطريق المناسب، لتخطّي أشواك اللحظة الجارية وأسلاكها وفتح آفاق جديدة للعمل، أي استعادة المبادرة وإشعار الأقربين قبل بقية العالم بأن فلسطين عربية، وأن اغتصابها واستيطانها من المجموعات الصهيونية القادمة من الشرق والغرب خلال عقود القرن الماضي، وبمواثيق وعهود تُعَدُّ اليوم من تركة الحرب العالمية الأولى.

> لا تنازل عن أولويات المشروع الوطني الفلسطيني المتمثلة في دولة مستقلة عاصمتها القدس

لن ينجح ما كنا بصدد رصد بعض معطياته في اجتثاث شعب واجه منذ ما يقرب من مائة سنة مجموعةً من المؤامرات والدسائس والحروب والانتهاكات، من السجون والضحايا. وهو قادر على استعادة أنفاسه ورفع أصواته في أشكال جديدة من الانتفاض الذي يُبلغ العالم أجمع بأن فلسطين أكبر من كل ما رُتِّب ويرتب لها من الصفقات والأحلام التي لا تجد أي حرج في أن ترى أن إسرائيل موكولة لها، حسب وصايا شمعون بيريز، إعادة بناء شرق أوسط جديد بأموال العرب و«عقول الصهاينة»، وفي هذا كثير من أحلام الأساطير الصهيونية.

لا نتصوَّر اليوم وجود مخرج من متاهات الضفة الغربية وقطاع غزة، ومشروع تدابير وإجراءات الحكم الذاتي والأمن الإسرائيلي، إلا بإعادة النظر في مسارات اتفاق أوسلو.. نقطة الانطلاق الجديدة الكاشفة والمؤسسة، وهي منطلقٌ جديد يبدأ بإعادة بناء منظمة التحرير الفلسطينية ومشروعها الوطني التحرّري، ونحن نرفعه تقديراً لمختلف أرصدة هذه الحركة، بمختلف تياراتها وخياراتها ومختلف أجيالها وتضحياتها، وذلك من أجل مناهضة كل أشكال القصور والتقصير، ومختلف الأخطاء التي ارتكبت في مساراتها خلال العقود الأربعة الماضية، حيث يمكننا أن نواصل القول والعمل، لا تنازل عن أولويات المشروع الوطني الفلسطيني المتمثلة في دولة مستقلة عاصمتها القدس، لا تنازل عن عودة اللاجئين وإيقاف مسلسلات الاستيطان، ومختلف السياسات الاستعمارية التي تمارسها إسرائيل، فهل نحن على ذلك قادرون؟

(كاتب وأكاديمي مغربي)

# حرب أهلية عربية لصالح العدو

**حلمي الأسمر**

(1)

من يرقب ما يجري في الإعلام الشعبي يوقن أن ثمة حربا أهلية طاحنة، تدور رحاها في «تويتر» و«فيسبوك» وسواهما من منصات «التواصل» الاجتماعي، ومادتها الرئيسة اليوم ما يسمى «التطبيع»، وهي كلمة مستحدثة ودخيلة على اللغة العربية، وترجمة حرفية للكلمة الإنكليزية «normalization». وهي مصطلح سياسي يشير إلى جعل العلاقات طبيعية بعد فترة من التوتر أو القطيعة لأي سبب كان، حيث تعود العلاقة طبيعية، وكأنه لم يكن هناك خلاف أو قطيعة سابقة.

وبغض النظر عن خلافنا بشأن صحة توصيف المصطلح في العلاقة مع العدو الصهيوني التي لن تكون طبيعية أبدا، إلا أنه يهدف إلى «غسل» جرائم الاحتلال الصهيوني لفلسطين، وتبييض وجه إسرائيل، حيث يتم نقل كل هذه الأوساخ إلى فلسطين والفلسطينيين وشيطنة المقاومة، وحتى شعب فلسطين، وكل ما يمت إليه بصلة، (وصل الأمر إلى هجاء الأكل الفلسطيني، كالملوخية والمفتول!). وإلى هذا، ثمّة عمل مبرمج في هذا السياق، مادته الأساسية تركيا (وقطر أيضا وإن بشكل أقل)، في محاولةٍ، كما يبدو، لإحياء الحلف العربي - الغربي الذي تشكل قبل مائة عام لإنهاء الخلافة العثمانية. وبدا الأمر وكأن هناك عملا حثيثا لتأسيس «حركة صهيونية عربية» منظمة، تعمل وفق إيقاع منتظم لغسل دماغ العقل الجمعي العربي، ونقله إلى مرحلة غير مسبوقة من استعمار حديث، لم يتفق بعد على توصيف ماهيته لغرائبيته.

ما يثير الحزن الشديد هنا أن أطرافا كثيرة مشاركة في الحرب الأهلية غير مدركة كنهها، وكيفية إدارتها ممّن أشعلوها، ومن كرّسوا لتسخينها جيوشا إلكترونية جرّارة لتوجيهها الوجهة التي يريدون، فترى المغرّدين البسطاء ومستخدمي «فيسبوك» وقد أصبحوا وقودا لهذه الحرب، وسببا في زيادة أوارها، بل قد يكونون أداة في أيدي «المعلمين» الكبار وضحاياهم في الوقت نفسه!

(2)

تبدأ المعركة ببث فيديو لعربي متصهين يمجّد إسرائيل ويشتم فلسطين، وسرعان ما يلتقط «الطُّعم» أصحاب الدم الساخن، فيعيدون بث الفيديو، ويعلقون شتما وتحقيرا بصاحبه، فيسهمون في نشره وتداوله وإعادة بثه مرّات ومرّات، وتتسع دائرة المواجهة، حين يدخل ساحة القتال خبراء في هندسة العقل الجمعي، عبر ما يسمّى «الذباب الإلكتروني»، فيلقون معلومةً هنا وشتيمة هناك، ومقالاً أو دراسة، كما القنبلة الموقوتة، فيحمى الوطيس وتتّسع جبهات المواجهة، والمراقبون السرّيون في سراديب إدارة المعركة يبتسمون للنجاح الذي يحققونه، وسرعة سريان النار وتساقط الضحايا!

هي حربٌ بمعنى الكلمة، تستهدف كي الوعي العربي، وإعادة تشكيله، وتحطيم كل التابوهات المقدسة، وهي حربٌ كلفتها المعنوية أشد وطأة، وخسائرها أكثر فداحة من الحرب الحقيقية المادية، لأنها تستهدف ضرب طهارة الوجدان الشعبي، وعذرية العقل الجمعي، كي يقبل أو يتعايش مع خيانات فادحة لم تكن لتمرّ من دون تهيئة وتمهيد و«تطبيع» مع الفحش، هذا كله من دون إراقة قطرة دم واحدة، غير نزيف الوجدان العربي النظيف، وتدمير مناطق الطهر فيه!

(3)

ربما لا يعلم من ينخرط بحماسةٍ من طيبي القلوب في إدارة رحى هذه المعارك، أنها تنفيذُ مدروسٌ لسيناريوهاتٍ يضعها خبراء في هندسة الجماهير، ويقوم على تنفيذها جيشٌ من المرتزقة، يتم تجنيدهم من الشباب العاطل عن العمل، يُغرونهم بالمال الوفير، ويخضعون لعمليات تدريب وإعداد علمية، تشبه ما يتدرّب عليه الجندي في ساحة القتال الحقيقية. وهناك جهد مشترك بين الأطراف «ذات العلاقة» بصناعة هذه الحرب وإدارتها، سواء كانت تنتمي إلى النظام العربي الرسمي أو إلى «جيش الدفاع الإسرائيلي!». وكي لا يبدو الكلام وهما، أو جزءا من منتجات «عقلية المؤامرة». وتُظهر دراسة نشرها مركز أبحاث الأمن القومي، الإسرائيلي، منذ سنتين تقريبا، وترجمتها صحيفة «العربي الجديد»، أن جيش الاحتلال يعكف، منذ زمن، على تطبيق إستراتيجية تهدف إلى التأثير على الوعي الجمعي للشعوب العربية والإسلامية، لإقناعها بقبول شرعية «إسرائيل»، وساحة عمل الإستراتيجية تحديداً الفضاء الافتراضي ومواقع التواصل الاجتماعي. ووفق الدراسة، «عمد جيش الاحتلال إلى تخصيص موارد بشرية ومادية وتقنية، لبناء قوةٍ تكون قادرةً على التأثير في هذه الساحة، وطوّر أدوات تكنولوجية، وعمل على تأهيل قوى بشرية مناسبة للقيام بهذا الدور، ناهيك بتدشين أطر مؤسساتية تعنى بالقيام بهذه المهام». واعتبرت الدراسة أن الوجود الإسرائيلي على شبكات التواصل، علنيا أو سرّيا، «ذخر إستراتيجي لإسرائيل يضاف إلى أوجه الذخر التقليدية التي تتمتع بها». وأوضحت أن «الإستراتيجية التي يعتمدها جيش الاحتلال في الفضاء الافتراضي تهدف أيضاً إلى التأثير على الروح المعنوية للعدو والمسّ بها بشكل كبير».

> كأن هناك عملاً حثيثاً لتأسيس «حركة صهيونية عربية» منظمة، تعمل على غسل دماغ العقل الجمعي العربي

وتقول الدراسة إن الهدف الذي يتعرّض للهجوم لا يعي أنه يتعرّض لهجوم يهدف للتأثير على وعي جمهوره، حيث تعمد إلى تقمّص هوياتٍ زائفة وغير حقيقية، كما أن هناك نوعاً يشنّ هجمات مباشرة وعلنية عبر نشر محتوى مشحون بالعنصرية والاستفزاز وزاخر بالأكاذيب، لإشعال المواجهات المرجوّة!.

(كاتب من الأردن)

# العدو الصديق... وأزمة المياه في الحسكة السورية

**راتب شعبو**

عانى أهالي الحسكة في سورية من أزمة متكرّرة في الحصول على مياه الشرب والاستعمالات المنزلية، منذ سيطرت تركيا على منطقة رأس العين في أكتوبر/ تشرين الأول 2019، غير أن الأزمة تفاقمت في الأسابيع الماضية (بدءاً من 13 أغسطس/ آب 2020)، مع تبادل الاتهامات بالمسؤولية بين الجيش التركي وربيبه «الوطني» والإدارة الذاتية (الكردية)، إلى أن وجدت الأزمة حلاً (حل قلق بالتأكيد، لأنه خاضع للتقلبات السياسية الكثيرة والسريعة) في الأيام الأخيرة بتواسط روسي، وفق صيغة الماء مقابل الكهرباء، فإن من يسيطر على محطة علوك لضخ الماء «يعادي» من يسيطر على محطة مبروكة لضخ الكهرباء، وكالعادة تستخدم الحاجات الحيوية للناس في ممارسة العداء بين الأطراف المتصارعة.

ينبغي ألّا ننسى أن هذا يجري باسم قضايا كبرى (لا تقل عن حقوق الشعوب في الحرية والكرامة)، يناضل من أجلها طرفان سوريان، ويستنجد كل منهما، ضد الآخر، بكل السبل المتاحة. كذلك تنبغي ملاحظة أن النظام السوري (أصل الداء) بات في معمعة صراع هذين الطرفين السوريين طرفاً ثالثاً، يدخل في حل مشكلاتٍ كهذه عبر الوسيط الروسي. من الراجح أن تفاقم أزمة الماء أخيراً في الحسكة نجم عن سوء تقدير من «الإدارة الذاتية» التي ظنت أنها تستطيع، بعد أن حفرت نحو 50 بئراً في منطقة الحمّة، الاستغناء عن محطة مياه علوك (المغذّي الرئيسي لمدينة الحسكة وتل تمر، أي ما يقارب مليون نسمة). وعليه، قطعت الإدارة الكهرباء عن منطقة رأس العين وتل أبيض، فكان الرد بقطع المياه «لأن مضخّات الماء لا تعمل من دون كهرباء»، بحسب رواية المحتل التركي عن تفسير الأزمة المستجدة. قد تشكل هذه الرواية إجابة عن السؤال المعلق: لماذا لم تقطع الماء بهذه الصورة طوال الأشهر الماضية من السيطرة التركية على رأس العين؟ صحيحٌ أن موضوع المياه في الحسكة كان دائماً محل أزمات متكرّرة، ولكنها المرة الأولى التي تصل إلى هذا المستوى الذي هدّد السكان بالعطش في المنطقة التي تسمّى «أم الأنهار».

في هذه الحال التي تقطّعت بها سورية، باتت المراكز الاقتصادية الحيوية في البلاد واقعة تحت سيطرة أطراف متعادية، صار لا بد من تحييد العداوات قليلاً، للسماح بتدفق العلاقات الاقتصادية، أو لا بد من تحقيق تسوياتٍ سياسيةٍ لحل أبسط المتطلبات الاقتصادية للسكان المحكومين لهذه الأطراف. حتى بات من المألوف تدخّل قوى خارجية عظمى لتحقيق تسوية ترضي هذا الطرف أو ذاك، فيسمح للأهالي بالماء أو الكهرباء أو النفط أو القمح أو الخضار... إلخ، كما بات من المألوف أن يتوقف فتح معبر حدودي على قرار من مجلس الأمن.

البؤس العام الذي يعيشه السوريون في كل مكان، وتحت كل السيطرات المتوافرة على الأرض السورية، لم يشكل أساساً لحملةٍ سوريةٍ عامة، توحّد «البائسين» في وجه المسيطرين، حتى بعد أن تكشّف لكل مبصر أن هؤلاء المسيطرين من طينة واحدة، وأن وراء لغاتهم المتباينة يكمن لبٌّ واحدٌ اسمه «السلطة». لا يزال السوريون يستسلمون لانقسامات سياسية فارغة المحتوى بين القوى العسكرية المسيطرة، ويقاومون قوة واقعهم الاقتصادي البائس الذي يدفعهم إلى التوحد.

يتعامل الخارج أيضاً مع الواقع السوري المفتت، وفق المنظور نفسه الذي يوحّد بين المسيطرَيْن، المحلي والمحكوم. لم تعد سورية في نظر القوى الخارجية بلداً واحداً، بل مناطق نفوذ متصارعة. لا تبدو أزمة المياه أو الكهرباء في الساحل مثلاً محل اهتمام، ما دام لا يندرج في أسبابها المباشرة عدوٌّ ما، كي يزدهر الكلام عن جرائم الحرب وعن انعدام الأخلاق والإنسانية... إلخ. وفيما تصبح قضية المياه في الحسكة قضية عالمية (وهذا، على كل حال، مما يُحسب للفاعلين في الإدارة الذاتية وللقائمين على الحملات الإعلامية)، يكتب عنها ويتفاعل معها سياسيون وفنانون وكتّاب، يعاني أهالي أدلب والمخيمات من شحّ الماء، ويبقى الأهالي في ريف الساحل السوري أسبوعين وثلاثة أسابيع، من دون ماء، وبصورة متكرّرة، ويصبح سعر برميل الماء ألف ليرة سورية، هذا إذا توافر. مع العلم أن متوسط الراتب في هذه المناطق 60 ألف ليرة، من دون أن يتحرّك ساكن، لا في الداخل ولا في الخارج. لا بد من توافر عدو خارجي لتوجيه النار، فيما يبدو العدو المحلي من أهل البيت، ولظلمه طعم «المقاومة» لا طعم «الحسام المهند»، كما كان الحال في زمن الشاعر.

> لم يعد التردّي المعيشي يكتسب معنىً سياسياً في عيون السوريين، إلا حين يندرج في أسبابه «عدو» ما

بعد أن تحطّمت ثورة السوريين وورثتها سلطات أمر واقع بلا أي عمق سياسي وطني، لم يعُد التردّي المعيشي يكتسب معنىً سياسياً في عيون السوريين، إلا حين يندرج في أسبابه «عدو» ما. عندئذ فقط يمكن أن تتوحد الإرادات النخبوية والشعبية ضد العدو، سوى ذلك فإن البؤس الاقتصادي للأهالي يجري استيعابه على أنه جزء من «المقاومة» والنضال ضد «العدو» الذي يتحدد في كل منطقة بما يوافق «الصديق»، أي القوة المسيطرة. لا تزال سوق العداوة الخارجية رائجة، ولا يزال للعدو وظيفة امتصاص العداوة وتبرير أوساخ السلطة المحلية المسيطرة، ولا يزال العدو هو الصديق الأهم للسلطة المحلية المفروضة فرضاً على الأهالي.

(كاتب سوري)

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد
(Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري**
■ المدير الفني **إميل منعم** ■ سكرتير التحرير **حكيم عنكر**
■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام**
■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

**المكاتب**
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600

■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads